تاريخ الإرسال: 2016/03/02 - تاريخ القبول للنشر: 2016/05/19 تاريخ النشر: 2016/06/28

أهمية الخطاب الديني في التنمية الاجتماعية

دراسة سوسيو– دينية

جرادي حفصة (جامعة الأغواط)
بن لحبيب بشير (جامعة الأغواط)

تمهيد :

يعتبر الخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية و النص الديني ركنا من أركان العملية التربوية المهمة في بناء الفرد والمجتمع، بما يحمله من قيم أصيلة ومعان سامية وتوجيهات ربانية، تستهدف الإنسان الذي هو محور العملية التوجيهية، بخاصة الشباب الذين هم عماد الأمة ورمز قوتها ورمز عطائها ومشعل حضارتها، فالخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية منصب على تحقيق أهداف الإسلام في بناء شخصية متكاملة قدوتها الرسول « صلى الله عليه وسلم» ، وتستهدف تنشئة صالحة قويمة، بحيث يعيش الشباب حياته في أمن وطمأنينة، وفي سعادة وصلاح حال، يدرك رسالته في هذه الحياة إدراكا واعيًا صحيحًا مستنيرًا، ويؤدي هذه الرسالة بقوة وأمانة، فالشباب هم الفئة المقصودة أكثر من غيرها في الخطاب الديني اليوم، لبناء شخصيتهم وعلاج مشكلاتهم، فهو خطاب تربوي موجه، له غاياته وأهدافه وأساليبه وخصائصه.

فما الدور الذي يلعبه الخطاب الديني في تحقيق التنمية الاجتماعية بمختلف أشكالها .

أولا : تحديد المفاهيم

1– معنى الخطاب لغة : مصدر خاطب يخاطب و مخاطبة [1]

2– اصطلاحا : توجيه الكلام نحو الغير للإفهام ، ثم نقل إلى ما يقع به التخاطب. أو الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيئ لفهمه [2]

وعرفه الأصفهاني بأنه « توجيه ما أفاد نحو المستمع أو من في حمكه «[3]

و الديني نسبة إلى الدين /و الدين لغة : العادة و الشأن ، قال المثقب العبدي يذكر ناقته :

أكل الدهر حل و ارتحال أما يبقي علي و ما يقيني

تقول إذا درأت لها و ضيني أهذا دينه أبدا و ديني

ومن معاني الدين الجزاء و المكافأة ، قال تعالى : « وإنا لمدينون « أي مجزون محاسبون [4]

و الدين الطاعة ، ومنه الدين اصطلاحا .

أما الدين عند المسلمون بأنه « وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح و الحال و الفلاح و المال » [5]

3– التعريف السوسيولوجي للخطاب :

انتشر استخدام مصطلح (الخطاب) في العلوم الاجتماعية بين النخب الفكرية و الأكاديمية ، بحيث أصبح مصطلحا مقصودا و ملفتا للانتباه، فلا تكاد تخلو الانتاجات الفكرية و الثقافية والأدبية و غيرها منه، على الرغم من كونه مصطلحا قرآنيا بحتا، ورد في العديد من الآيات القرآنية بمعاني و بناءات شتى ، وذات مقاصد و غايات متعددة ، وبالتالي جاء استخدامه في العلوم الاجتماعية للتعبير عن الظاهرة الدينية كأحد العوامل الرئيسية لفهم المجتمع و توجيهه، و قد تعدد التعاريف المتعلقة بهذا المصطلح لاختلاف المحتوى و الهدف منه و نذكر منها :[6]

– هو نسق ثقافي و اجتماعي رمزي معقد و متشابك بين طرفين متقابلين.

– هو شكل من أشكال التواصل و التفاعل الاجتماعي المباشر و غير المباشر أيضا ، عبر الوسائل و الوسائط الاتصالية و الإعلامية المختلفة .

– هو جملة من المعاني المختلفة المراد زرعها أو نشرها أو ترخيصها عبر وسائل مختلفة باتجاه فئات أو مجموعات معينة في المجتمع .

3–1 مفهوم الخطاب الديني :

الخطاب الديني هو كلام الله تعالى للناس أجمعين، متمثلاً في الدعوة التي حملها كتابه الكريم، ورسوله صلى الله عليه وسلم إلى الناس أجمعين، لتكون هذه الدعوة منهج حياة لكل من آمن بها.

ويصدق هذا قول الحق عز وجل: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)، حيث أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوة الناس إلى الإسلام، بالحكمة والموعظة الحسنة، وجدال الناس بالتي هي أحسن، وذلك لا يكون إلا بمخاطبتهم.

ثم يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)، وكذلك فقد أمر عليه الصلاة والسلام بتبليغ الناس ما أنزل إليه من ربه، والتبليغ له وسائل كثيرة على رأسها مخاطبة المبلغين.

ويقول عز وجل: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، والبيان لا يكون إلا بالخطاب، واللسان هو اللغة الواضحة المستبينه التي يفهما المخطبون جميعا.[7]

وإذا كان كذلك؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ عن ربه، ثم من آمن برسالته هو كذلك مطالب بتبليغ هذه الرسالة ومخاطبة الناس بها، وجاء في ذلك قول الحق عز وجل: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)، وكذلك

كان صلى اللّه عليه وسلم يقول لصحابته بعد موعظة أو بيان حكم: "فليبغ الشاهد منكم الغائب، ومثال ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن أبي بكرة ذكر النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: " فإن دماءكم وأموالكم – قال محمد وأحسبه قال – وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب".

ويقصد بالخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية: الكلام الموجه من قبل الرسول « صلى اللّه عليه وسلم»، سواءً الموجه للفرد أو الجماعة، والذي يحمل مضمونًا دينيًا تربويًا ذا طابع توجيهي وإرشادي، بما يحقق المصلحة العامة للخطاب في الدنيا والآخرة، ويسهم في بناء شخصية سوية ومتوازنة.[8]

ويؤخذ من التعريف السابق أن أسلوب الخطاب من أبرز الأساليب النبوية المستخدمة في توجيه الشباب وعلاج مشكلاتهم، فالخطاب – ولا يزال – هو الأسلوب الأمثل في التأثير على المخاطبين أو المتلقين، طالما اعتمد على الإقناع المنطقي، والتحفيز النفسي، والتوجيه الديني... إلخ، مع اعتماده على الوسائل اللغوية المطلوبة في التأثير – على تعددها– كل منها في سياقها المناسب للموضوع المطروح، وقد التفت القدماء إلى أهمية الخطاب وتأثيراته في شتى المجالات، وكانت تأثيرات الخطاب القرآني والنبوي من أبرز التأثيرات، وأعظمها أثرًا، حتى لقد تحول المجتمع الجاهلي إلى مجتمع مختلف، وعمت تأثيراته العالم بأسره، ليسطع نور الحق والخير والعدل على الإنسانية جمعاء، متى ما أصغت بوعي لذلك الخطاب الرباني، وتخلت عن آفتي الكبر والعناد، والتفتت إليه بحيدة وموضوعية صرفة، كما فعل الرعيل الأول من الصحابة رضي اللّه عنهم.

2–3 التعريف الإجرائي للخطاب الديني :

« هو الخطاب الذي له شكلا ومضمونا يتعلق بكل شؤون الديانة ومجالاتها المختلفة بما فيها استخدام كافة الوسائل والأساليب ذات الأنماط المشوقة لغرض التأثير في المتلقي بصورة مباشرة وغير مباشرة» .

4– مفهوم التنمية في الإسلام :

إن مفهوم التنمية المتكاملة في الإسلام يمكن تحديده بأنه « مجموعة الجهود المتنوعة والمنسقة التي تؤهل المجتمع المسلم للقيام بأمر اللّه تعالى» .[9]

وهذا التصور لتعريف التنمية التي نتطلع إليها لا يساعدنا على بلورة أهداف التنمية فحسب ، وإنما يزيدنا بصيرة أيضاً في إقامة التوازن والانسجام بين الجوانب المختلفة للتنمية ...كما يساعدنا في ترتيب الأولويات في العملية التنموية وإدارتها بطريقة رشيدة ، ومن ثم فإننا آنذاك لا نساعد على توفير الكماليات وفي الناس من يبحث عن الضروريات، ولا نتوسع في بناء الملاعب والحدائق ، ولدينا نقص في المعاهد والمختبرات...»[10]

ثانيا : أركان الخطاب الديني :

1– الركن المقدس الخالد : و هما (القرآن الكريم ، و السنة النبوية المطهرة)

2– الركن الاتباعي و التراثي : وهو التراكم التراثي المبجل و المحترم ، بدأ من عمل الصحابة رضوان اللّه تعالى عليهم أجمعين ، ثم عمل و فهم التابعين و تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، من عدول خلف هذه الأمة أيضا ، عملا بالمبدأ الإسلامي التراثي العظيم (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم – وعدد ثلاث قرون أو أربعة – رواه مسلم) والمبدأ التجديد الفاعل (إن اللّه ليبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها – رواه أبو داود بند صحيح) و عملا بالمبدأ الإسلامي العظيم (الخير و البركة في أمتي إلى يوم

الدين – رواه أحمد الترميذي) و المبدا الإسلامي (لا تجتمع أمتي على ضلالة فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم – رواه ابن ماجة و أحمد و الترميذي والحاكم بألفاظ متقاربة) [11]

ثالثا: أهمية الخطاب الديني:[12]

1– ضروري لتبليغ الرسالة:

ذلك لأن المسلمين في كل عصر مطالبون بتبليغ رسالة الله عبر خطاب إسلامي يقدم الإسلام بمضمون صحيح كامل، وأسلوب متميز وفعال.. مخاطبا جميع الفئات والهيئات ومختلف الأجناس داعيا إلى التوسط والاعتدال والاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم.

2– الخطاب والتبليغ هو سبيل الأنبياء والصالحين:

للبلاغ والتبيين وسبيل النجاة للجميع؛ لقوله جل وعلا: (قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلاَّ بَلاَغًا مِّنَ اللّهِ وَرِسَالاَتِهِ) (الجن: 22، 23).

3– الخطاب والتبليغ طريق الخلاص للعالم:

لان الواقع البئيس الذي يعيشه العالم اليوم يفرض على المسلمين أن ينشروا الخير الذي عندهم، والذي يقدم الحلول الناجعة لمشاكل العالم، مستخدمين في ذلك أدوات العصر ولغته في مخاطبة الناس، تحقيقا للخيرية لهذه ألامه على الأمم وكما حصل في الأعوام السابقة في الأزمة المالية العالمية فبدئت بعض الدول تبحث عن الحل في الاقتصاد الإسلامي وأرسلوا العلماء والباحثين إلى بلاد المسلمين كما عملت روسيا والتواصل مع الأزهر وغيرها.

4– التبليغ أعظم وظيفة ينال شرفها من وفقه الله:

لأنها وظيفة الأنبياء والمرسلين وكما قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – (لأن يهدين الله بك رجلا واحد خير مما طلعت عليه الشمس).

5– الخطاب الديني هو أساس التبليغ لدين الله تعالى:

لإنقاذ البشرية وتعليمها أمور الدين كم قام به الأنبياء والمرسلين ومجمل التبليغ هو الخطاب والكلام وإبراز المعاني بالألفاظ والأصوات وهناك أمر يساعد على التبليغ وهو أبلغ من الخطاب وهو القدوة الصالحة والدعوة إلى الله بالقدوة الحسنة فلقد نهى الله تعالى عن مخالفة القول العمل حيث يقول (يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ) (الصف: 2، 3)

6– الخطاب الديني هو تكليف رباني:

أمر الله به الأنبياء والمرسلين حيث يقول تعالى لرسوله (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (المائدة: 67) وامتثال لهدي الرسول الأعظم القائل (بلغوا عني ولو آية).

و تظهر أهمية الخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية من خلال: [13]

1- الخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية الموجهة للشباب يساهم في الوقاية من الخطأ والضلالة، لقول النبي « صلى الله عليه وسلم» الذي رواه مالك: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: «كتاب الله وسنة نبيه».

2- الاقتداء بالنبي « صلى الله عليه وسلم» في أقواله وأفعاله وأحواله، { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة. لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا } (الأحزاب -21)، فالنبي « صلى الله عليه وسلم» خير قدوة يقتدي بها المسلمون في جميع النواحي الأخلاقية والتشريعية والعقائدية، فهو « صلى الله عليه وسلم» يمثل المنهج الذي يعلمه ويربي به ويربي على هديه بلا تناقض بين القول والعمل والقدوة التي أعطاها قد بلغت في مراتبها أعلاها، وكلما توالت الدهور وتعاقبت العصور، وجد الناس في توجيهات وعبادة النبي « صلى الله عليه وسلم» وأخلاقه الشاملة المُثل العلا والأسوة الصالحة والمنار الهادي.

3- الخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية يوجه سلوك الشباب ويعطيهم التناسق وعدم الازدواج بين الفضيلة والرذيلة ومعرفة الأمور، ومحاكمتها للتمييز بين الصواب والخطأ والمرغوب فيه والمرفوض والأخلاقي وغير الأخلاقي.

4- الخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية وأفعال الرسول « صلى الله عليه وسلم» وأخلاقه وتقريراته وشمائله وفضائله، هي القواعد التي بُني عليها المجتمع الإسلامي، فدراسة سيرة الرسول « صلى الله عليه وسلم» هي في جوهرها دراسة في تشكيل حضارة، وبناء أنموذج حياة جديد.

رابعا: دور الخطاب الديني في التنمية الاجتماعية

إن الخطاب الإسلامي يراعي التوازن و التجانس بين المجتمع من خلال الحقوق والواجبات، كما ويراعي جميع جوانب الحياة دون إفراط أو تفريط دون غلوا أو تشدد وانحلال فهو منهج الاعتدال والتوسط، و يخدم الإنسانية والبشرية و يدعو إلى تميز المسلم في جميع حياته وتقديم الحلول والمقترحات المتمثلة في الأمور التالية:

1- تحقيق التنمية المستدامة:[14]

والتي يُقصد بها التنمية التي تفي باحتياجات الجيل الحالي دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على الوفاء باحتياجاتهم وعدم مصادرة احتياجات الآخرين والعيش بمقدرات الأمة ونبذ الأنانية وحب الذات والعيش على معاناة الآخرين.

هكذا، فإن مهمة الخطاب الإسلامي هو توجيه مبادئ التنمية المستدامة من خلال توفير متطلبات البشرية حاليا ومستقبلا، سواء أكانت مادية أو روحية، بما في ذلك حق الإنسان في كل عصر ومصر في أن يكون له نصيب من التنمية الخُلقية والثقافية والاجتماعية. وهذا بُعد مهم تختلف فيه التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي عن التنمية المستدامة في النظم والأفكار الأخرى، لأنه يعتمد على مبدأ التوازن والاعتدال في تحقيق متطلبات الجنس البشري بشكل يتفق مع طبيعة الخلقة الإلهية لهذا الكائن. وتوجيه الخطاب نحو التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي لا تجعل الإنسان ندا للطبيعة ولا متسلطا عليها، بل تجعله أمينا عليها محسنا لها، رفيقا بها وبعناصرها، يأخذ منها بقدر حاجته وحاجة من يعولهم، بدون إسراف، وبلا إفراط ولا تفريط وفي ذلك يقول

سبحانه وتعالى(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) سورة الأعراف: آية31، كما أنها تُعَدّ لونا من ألوان شكر المنعم على ما أنعم به على خَلقه، انطلاقا من كون العمل في الأرض نمطا من أنماط الشكر لله، كما قال تعالى: (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) سورة سبأ: آية 13.

2- تحقيق العدالة الاجتماعية:

إن الخطاب الإسلامي يكون قاصرا إن تجاهل «العدالة الاجتماعية» التي تحدث عنها القرآن في بحر آياته العديدة، وأرست قواعدها السنة النبوية، وأوضح أسسها الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول (الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين عربيا وأعجمي إلا بالتقوى)، ودعا إلى تكوين المجتمع الفاضل الذي يسوده التكافل والترحم والتعاطف.. فالعدل أساس بناء المجتمع وكذلك تقوم عليه الدول وإن الله لينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة فما أحوج الأمة ودعاتها ورعاياها إلى إتباع هذا المنهج القويم والسديد ونشره بين المجتمعات وإظهاره للعالم.

و يعد العدل في النص الديني محوراً لكل شيء، وعليه ترتكز فلسفة التشريع، وحكمة التكوين، وبناء المجتمع، وحفظ الحقوق، وتعميق المبادئ الأخلاقية.[15]

ولأهمية العدل في حياة الناس فقد تكررت مادة العدل بمشتقاتها ما يقرب من ثلاثين مرة في القرآن الكريم، ويشير هذا التكرار إلى عناية التنزيل المجيد بالحديث عن العدل [16]؛ لهذا ركز الخطاب الإسلامي على ضرورة تفعيله و تجسيده في الواقع ، من خلال الاستشهاد بالنص الديني، حيث يقول الله تعالى فإن أهم هدف لبعث الأنبياء والرسل بعد تعريف الناس بالخالق جلّ وعلا هو بسط العدل بينهم، قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ) سورة الحديد: الآية 25. ذلك لأن الاجتماع البشري لا يمكن أن يتأسس فيه روح النظام والقانون والمساواة إلا بتحقيق العدل والعدالة، ومن هنا جاء الأمر الإلهي بضرورة تطبيق العدل: (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ) سورة الأعراف: الآية 29. وقوله تعالى: (إِنَّ اللّه يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ) سورة النحل: الآية 90.

فالعدل هو جوهر الإسلام وروحه، وهو المحور الأساس لتطبيق أصول الدين وفروعه، وبتطبيقه تنعم البشرية بالسلام والاطمئنان والأمن والرفاهية والرخاء، أما عندما ينتفي العدل والعدالة من حياتنا، فإن نقيضه سيحل محله، وهو الظلم والجور، وهو أساس كل شر، وسبب كل شقاء، ومنبع الرذائل والفواحش، وجذر التخلف والتقهقر الحضاري (فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ) سورة الحج: الآية 45.

3- تحقيق التكافل الاجتماعي

إن المتأمل في جماليات الخطاب الديني الذي يرى ما ينطوي عليه نظام الصدقة من تكافل اجتماعي بين أبناء المجتمع الإسلامي، بمواساة الغني للفقير والمسكين، ومراعاة المجتمع للذين يتفرغون لشئون المجتمع، وإعانتهم على القيام بما ندبوا إليه من ذلك خير قيام، ثم إعطاء المؤلفة قلوبهم وهم الذين دخلوا في الدين ولم يتمكن من نفوسهم التمكن الكامل، ثم يعطى المكاتبون لاستخلاص رقابهم، وشراء حريتهم، وفي هذا دليل

على أن الإسلام توّاق إلى الحرية، معين عليها، مرغب في منحها، وهذا ملحظ سياسي واجتماعي عظيم، ثم من أحاطت به المكاره والديون، جعل اللّه له في ذلك المال نصيبا، يسدد به دَيْنه، ويستأنف به حياته، أما ابن السبيل وهو المسافر الذي نفد ماله أو ضاع فينبغي أن يعان من الزكاة حتى يبلغ أهله، فإنه في هذه الحالة أخو الفقير والمسكين، وإن كان في بلده غنيا، واللّه في عون العبد مادام العبد في عون أخيه،[17] أما الإنفاق في سبيل اللّه فهو قمة الإنفاق يقول عليه الصلاة والسلام:»من جهز غازيا فقد غزا، ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا» (أخرجه البخاري و مسلم)

لذلك كان النص الديني حريصاً على مصاريف الصدقات بيانا قاطعا قال تعالى:(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّه وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللّه واللّه عَلِيمٌ حَكِيمٌ)سورة التوبة ، أية 60.

4- القضاء على البطالة:[18]

إن الناظر لزيادة معدلات البطالة في العالم يدرك بلا شك عمق المشكلة التي تواجه المجتمعات التي تنشد الرفاهية في المعيشة، وتطمح إلى تحسين الأوضاع الاجتماعية وتطبيق التنمية المستدامة. فلا بد من توجيه الخطاب الديني إلى وضع الحلول والبدائل الإسلامية لهذه الظاهرة العالمية المتفاقمة والمنتشرة في أصقاع المعمورة.

فالبطالة و الفقر هما أحد مؤشرات التنمية في المجتمع لهذا ركز النص الديني على ضرورة مكافحة البطالة من خلال توجيه الخطاب نحو الشباب و الأمة لتفعيل دور الزكاة كآلية للحد من البطالة و الفقر ، حيث فرض اللّه تعالى الزكاة على الأغنياء لترد على الفقراء، وهي من حق الفقراء ولا منة لمعطيها عليهم فيها، ويجب على ولي الأمر أن يحصل زكاة الأموال الظاهرة منهم ليعيد توزيعها، ومن أنكرها أو أبى أن يؤديها أخذت منه بالقوة وعوقب على ذلك، قال صلى اللّه عليه وسلم:« مَنْ أَعْطَاهَا مُؤْتَجِرًا بِهَا فَلَهُ أَجْرُهَا وَمَنْ مَنَعَهَا فَإِنَّا آخِذُوهَا وَشَطْرَ مَالِهِ عَزْمَةً مِنْ عَزَمَاتِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ» (رواه أبو داود والنسائي).

وتشريع الزكاة يعتبر تمويلا آليا للفقراء الذين لا يجدون الكفاف، كما أنها تمويل لمن أراد الاتجار والاستثمار من الفقراء، وكذلك قضاء لديون الغارمين بسبب الجوائح والإفلاس وغيرها من الأسباب.

ولا شك أن الهدف الأسمى للزكاة أن يتمكن الفقير من إغناء نفسه بنفسه، حيث يكون له مصدر دخل ثابت يغنيه عن طلب المساعدة أو الزكاة مرة أخرى.

ومثل الزكاة الأوقاف فإن من شأنها أن تساهم في توفير فرص عمل في المجتمع المسلم من خلال استثمار الأراضي والمباني التي يوقفها أصحابها طمعا في الصدقة الجارية، وقد قال صلى اللّه عليه وسلم:« إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (رواه مسلم 1631).

5- الاهتمام البيئة والمحافظة عليها:

إن الخطاب الديني والإسلامي لا يغفل مشاكل البيئة التي أدت إليها الثورة الصناعية المعاصرة؛ فأحدثت

خللا كبيرا في البيئة؛ فلابد من توعية الناس وعدم إغفال هذا الجانب والدعوة إلى التوازن و الترتيب والتنظيم لجميع جوانب حياتنا وبيئتنا التي نعيش فيها والاهتمام بالنظافة والهندام والمظهر الحسن فالله جميل يحب الجمال ويقول (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها انه لا يحب المفسدين) ونهى الرسول عن تغيير منار الأرض.

فقد أشار النص الديني إلى البيئة سواء أكانت البيئة التي عاش فيها العرب أو البيئات الأخرى أو التي ستؤول إليها مستقبلاً وما سيحصل فيها . وقد أشار الله إلى ذلك بقوله: (لَه مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى)(سورة طه: آية 6) . فما بين السموات والأرض يستدل على البيئة الطبيعية التي تشمل الشمس والحرارة والرياح والرطوبة والسحاب والإمطار، إما قوله (تحت الثرى) يقصد بها المكونات الموجودة في باطن الأرض سواء أكانت مكونات جيولوجية أو خامات معدنية أو ثروات طبيعية يمكن استخراجها واستثمارها اقتصادياً أو مياه جوفية يمكن استخراجها لإغراض الزراعة والاستيطا[19]

خامسا: تطوير الخطاب الديني وفق متطلبات البيئة الاجتماعية

لقد ضيقت الثورة التواصلية المسافة بين الشعوب والثقافات وطرأ على مفهوم السيادة والمواطنة تغييرات جوهرية، فلم تعد الحدود الجغرافية ذات أهمية كبرى فنحن نعيش تبادلا حضاريا وبشريا لم يسبق له مثيل في تاريخ الإنسانية وأصبحنا نتكلم عن الإنسان العالمي والمجتمع العالمي . وبالتالي فالخطاب الديني سيكون مطالبا بتبني مفهوم العالمية وعلى قدر انفتاحه عليها يكون نجاحه أو فشله.

كما اندحرت ديماغوجية "صدام الحضارات" والثقافة ذات البعد الواحد ،والحقيقة المطلقة،ونظريات اليمين المتطرف وأسطورة "الجهاد العالمي" ،إذ لم يعد المزاج العالمي يقبل بها أو يتفاعل مع أطروحاتها فهي وإن لازالت تقاوم من أجل البقاء فأجلها محدود ، فهي في كل يوم تنكمش على أصحابها . في المقابل تعززت قيم الحقائق المتعددة والثقافات المتعددة والتنوع الإنساني وحوار الحضارات و"الجهاد المدني" والتعايش الإنساني وهذه مفاتيح يجب أن يحل الخطاب الديني شفرتها ويتبناها وينطلق منها .

وهذا التحدي يوجب أن تكون المسألة الاجتماعية أو العدالة الاجتماعية في صلب الخطاب الديني فالإنسانية الآن في حاجة إلى مبادئ وإلى أخلاق، والدين بإمكانه أن يلعب الدور الحامي والمدافع عن المبادئ والأخلاق لكن إن تطور الخطاب الديني من الوعظ والتنديد والتحليق العام إلى أخذ المبادرة وجعل العدل ومفرداته وتفصيلاته أهم المضامين التي ينطق به وينطلق منها.[20]

خاتمة

وختاما يمكن القول أن الخطاب الديني كان السباق في وضع وتوجيه قواعد وقيم عظمى لتحقيق التنمية المستدامة وتعزيز المسؤولية الاجتماعية وحماية البيئة، والتأكيد على أهمية البيئة والعمل على الحفاظ عليها وصيانتها والحفاظ على توازنها لبقائها بيئة مناسبة، وأنه أكد على العمل وتحقيق التنمية المتكاملة بمختلف صورها، وعمل على حماية المخلوقات التي تعيش على الأرض والإحسان إليها، بما في ذلك حماية الإنسان من شرور نفسه ومن ظلم أخيه الإنسان، مع الاستفادة مما في الأرض من موارد ومقدرات وفق ضوابط خاصة من غير إفراط ولا تفريط. ولم يقتصر ذلك على تحديد أساليب الثواب للمحسنين للبيئة والعقاب للمسيئين لها، بل تعدّت

ذلك إلى جعل أخلاقيات التعامل مع متطلبات البيئة الاجتماعية سلوكا حميدا يجب أن يلتزم به المسلم ويراقب في أدائه ربه.

الهوامش و المراجع

1 الإبهاج في شرح المنهاج 1/117، الخطاب و المخاطبة مراجعة الكلام، لسان العرب 1/1194 مادة خطب.

2 التلويح إلى كشف حقائق التنقيح 1/36.

3 شرح المنهاج 1/48.

4 حمزة أبو فارس، الخطاب الديني و دور القواعد الفقهية في تجديده، مجلة الصراط للبحوث و الدراسات الإسلامية المقارنة، العدد 7، كلية العلوم الإسلامية، الجزائر، 2006، ص51.

5 حمزة أبو فارس ، نفس المرجع السابق ، ص51.

6 أحمد عيساوي ، قراءة تأسيسية تاريخية لمفاهيم التجديد و الخطاب الديني ، مجلة الصراط للبحوث و الدراسات الإسلامية المقارنة ، العدد 7 ، كلية العلوم الإسلامية ، الجزائر ، 2006 ، ص210.

7 ماهر أحمد السوسي ، مفهوم الخطاب الديني وسماته، جمعية القدس للبحوث والدراسات الإسلامية ، غزة ، فلسطين ، 2010 ، ص 08.

8 أبو دف محمود خليل، جودة الخطاب التربوي في السنة النبوية (دراسة تحليلية)، بحث مقدم لمؤتمر المعلم الفلسطيني، غزة، جامعة الأقصى، كلية التربية، 2008 ، ص5.

9 عبد الكريم بكار ، مدخل إلى التنمية المتكاملة – رؤية إسلامية ، ط1 ، دار القلم ، دمشق 1999م، ص10

10 عبد الكريم بكار ، المرجع نفسه ، ص10

11 أحمد عيساوي ، مرجع سابق، ص212.

12 عبد السلام حمود غالب ، الوسطية في الخطاب الديني وأثره على المجتمع ، (sharia/net.alukah.www) إطلاع بتاريخ 19:30h/25/12/2014

13 الأنصاري عبد لله إبراهيم، تربية الناشئة في ضوء السيرة، الدوحة ، مطابع قطر الوطنية، ، قطر، 1987، ص53.

14 نعيمة يحياوي ، فضيلة عاقلي ، التنمية المستدامة والمسؤولية الاجتماعية من المنظور الإسلامي ، ورقة بحث ضمن الملتقى العلمي الدولي حول سلوك المؤسسة الاقتصادية في ظل رهانات التنمية المستدامة والعدالة الاجتماعية يومي 20 و 21 نوفمبر 2012 ، جامعة ورقلة ، 2012 ، ص122.

15 عاد عبد الله العوضي، البيئة والتنمية المستدامة، الجمعية الكويتية لحماية البيئة، الكويت، صفحة 7.

16 أحمد الشرباصي ، موسوعة أخلاق القرآن ، الطبعة الثانية ، دار الرائد العربي، بيروت ، لبنان، 1405هـ – 1985م، ص22.

17 إبراهيم عبد العزيز ، إبراهيم محمد السمري تنمية المجتمع من منظور إسلامي، بحث مقدم لنيل جائزة كاتب الألوكة الثانية ، قسم الدراسات والأبحاث، مصر، 2011 ـ ص12

18 بن لحبيب بشير ، دقموسي خضرة ، دور مؤسسات الزكاة في تحقيق الاندماج الاجتماعي ، ورقة بحث ضمن الملتقى الوطني حول الشباب و مسألة الاندماج الاجتماعي ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الأغواط ، أفريل2014 ، ص08.

19 ابراهيم حازم ، الخواص القرآنية وشمولية الحصر ، مجلة عالم البناء . عدد يوليو ، القاهرة ، 1985، ص28–86 .

20 رازف سرياني ، الخطاب الديني والتحديات المعاصرة ، مكتبة الإسكندرية ،مصر ، 2009 com.rpcst.www//:http تاريخ الإطلاع 25/12/2014– 20:00 h